ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

* * *

[خبر مقتل زيد بن عليّ]

فمن ذلك مقتل زيد بن عليّ .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكَر هشام عن أبي مخنف ، أنّ زيد بن عليّ لما أمَر أصحابه بالتأهّب للخروج والاستعداد ، أخذ مَن كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك ، فانطلق سليمان بن سُراقة البارقيّ إلى يوسف بن عمر ، فأخبره خبره ، وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر ، وإلى رجل من بني تميم يقال له طُعْمَة ؛ ابن أخت لبارق ؛ وهو نازل فيهم. فبعث يوسف يطلب[1] ١٦٩٩/٢
زيد بن عليّ في منزلهما فلم يوجد عندهما ، وأخِذ الرّجلان ، فأتِيَ بهما ، فلما كلّمهما استبان له أمرُ زيد وأصحابه. وتخوّف زيد بن عليّ أن يؤخذ ، فتعجّل[2] قبل الأجل الذي جعله بينه و بين أهل الكوفة . قال : وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكَم بن الصلْت ، وعلى شُرَطه عمرو بن عبد الرحمن ، (رجل من القارة) ؛ وكانت ثقيف أخواله ؛ وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكنديّ ، في أناس[3] من أهل الشأم ، و يوسف بن عمر بالحيرة. قال : فلما رأى أصحابُ زيد بن عليّ الذين بايعوه[4] أنّ يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد ، وأنه يدسّ إليه ، ويستبحث عن أمره ، اجتمعت إليه جماعة من رءوسهم ، فقالوا : رحمَك الله ! ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعتُ أحداً من أهل بيتي يتبرّأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلمَ تطلب[5] إذاً بدم أهل هذا البيت ؛ إلّا أن وثبا على سلطانكم[6]

(١) ح ، ف : « فطلب » ، ابن الأثير : « فى طلب » .
(٢) ب ، ح : « فيعجل » .
(٣) ب وابن الأثير : « فى ناس » .
(٤) ف : « بايعوا » .
(٥) ف : « نطلب » .
(٦) ب ، ح « سلطانكما » .

فنزعاه من أيديكم ! فقال لهم زيد : إن أشدّ ما أقول فيما ذكرتم أنّا كنا أحقّ
بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين ، وإنّ القوم استأثروا ١٧٠٠/٢
علينا ، ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً ، قد وُلّوا فعدَلوا فى الناس ،
وعملوا بالكتاب والسنة . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء ! وإن كان أولئك لم
يظلموك ، فلِمَ تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ! فقال : وإنّ هؤلاء ليسوا
كأولئك ؛ إنّ هؤلاء ظالمون لى ولكم ولأنفسهم ؛ وإنما ندعوكم إلى كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى السنن أن تُحيا ، وإلى البِدَع أن تُطفأ ؛
فإن أنتم أجبتمونا سعدتم ، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه ونكثوا
بيعتَه ، وقالوا : سبق الإمام — وكانوا يزعمون أنّ أبا جعفر محمد بن علىّ أخا
زيد بن علىّ هو الإمام ، وكان قد هلك يومئذ — وكان ابنه جعفر بن محمد
حيًّا ، فقالوا : جعفر إمامنا اليومَ بعد أبيه ؛ وهو أحقّ بالأمر بعد أبيه ؛
ولا نتّبع زيد بن علىّ فليس بإمام . فسمّاهم زيد الرّافضة ، فهم اليوم يزعمون
أن الذى سماهم الرافضة المغيرة[1] حيث فارقوه . وكانت منهم طائفة قبل خروج
زيد مرّوا إلى جعفر بن محمد بن علىّ ، فقالوا له : إن زيد بن علىّ فينا
يبايع ؛ أفترى لنا أن نبايعه ؟ فقال لهم : نعم بايعوه ؛ فهو والله أفضلُنا وسيدنا
وخيرُنا فجاءوا ، فكتموا ما أمرهم به . ١٧٠١/٢

قال : واستتبّ لزيد بن علىّ خروجه ، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول
ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وبلغ يوسفَ بن عمر أنّ زيداً قد أزمع على الخروج ، فبعث إلى الحكَم
ابن الصلت ، فأمره أن يجمع أهل الكوفة فى المسجد الأعظم يحصرُهم فيه ،
فبعث الحكم إلى العُرَفاء والشُّرط والمناكب[2] والمقاتلة ؛ فأدخلهم المسجد ، ثم
نادى مناديه : ألا إنّ الأمير يقول : مَن أدركناه فى رحلة فقد برئت منه
الذّمّة ؛ ادخلوا المسجد الأعظم . فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج
زيد بيوم ، وطلبوا زيداً فى دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارىّ ،
فخرج ليلاً ؛ وذلك ليلة الأربعاء ، فى ليلة شديدة البرد ، من دار معاوية بن

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلى ، وانظر ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) المناكب : قوم دون العرفاء ، وفى حديث النخعى : كان يتوسط العرفاء والمناكب .

إسحاق ، فرفعوا الهرادىّ[١] فيها النيران ، ونادوا : يا منصور أمتْ ، أمتْ يامنصور . فكلما أكلت النار هُرْديًّا رفعوا آخر ، فما زالو كذلك حتى طلع الفجر ؛ فلما أصبحوا بعث زيد بن علىّ القاسم التِّنْعىّ ثم الحضرمىّ و رجلا آخر من أصحابه ، يناديان بشعارهما ، فلما كانوا فى صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكِندىّ ، فشدُّوا عليه وعلى أصحابه ، فقتِل الرجل الذى كان مع القاسم التِّنعىّ ، وارتُثّ القاسم ، فأتِىَ به الحكم ، فكلمه فلم يردّ عليه شيئًا ، فأمر به فضربتْ عُنُقه على باب القصر ؛ فكان أوّل مَنْ قتِل من أصحاب زيد ابن علىّ هو وصاحبه. وأمر الحكم بن الصلت بدروب[٢] السوق فغلقت ، ١٧٠٢/٢
وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة . وعلى أرباع الكوفة يومئذ ؛ على رُبْع أهل المدينة إبراهيم بن عبد اللهبن جرير البجلىّ ، وعلى مَذْحج وأسد عمرو ابن أبى بذْل العبدىّ ، وعلى كِنْدة و ربيعة المنذر بن محمد بن أشعث بن قيس الكندىّ ، وعلى تميم وهمْدان محمد بن مالك الهمْدانىّ ثم الخَيْوانىّ .

قال : وبعث الحكم بن الصّلت إلى يوسف بن عمر ، فأخبره الخبر ، فأمر يوسف مناديهفنادى فى أهل الشأم : مَنْ يأتى الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتينى بخبَرهم ؟ فقال جعفر بن العباس الكندىّ : أنا ، فركب فى خمسين فارساً ، ثم أقبل حتى انتهى إلى جبّانة سالم السَّلولىّ ، فاستخبرهم ، ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره ، فلما أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة ، فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس ؛ وعلى شُرْطته يومئذ العباس بن سعيد المُزَنىّ ، فبعث الريّان بن سلَمة الإراشىّ فى ألفين ومعه ثلثمائة من القِيقانيّة رُجّالاً معهم النُّشاب .

وأصبح زيد بن علىّ ، فكان جميعُ مَنْ وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية عشر رجلا ، فقال زيد : سبحان الله ! أين الناس! فقيل له : هم فى المسجد ١٧٠٣/٢ الأعظم محصورون ، فقال : لا والله ما هذا لمن بايَعنا بعذر . وسمع نصر ابن خزيمة النداء ، فأقبل إليه ، فلقى[٣] عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصّلت فى خيله من جُهينة عند دار الزّبير بن أبى حكمة فى الطريق

(١) فى اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه » .
(٢) الدرب : الباب الأكبر . (٣) ح ، ف : « فتلقاه » .

الذى يخرج إلى مسجد بنى عدىّ ، فقال نصر بن خزيمة : يا منصور أمتْ؛ فلم يردّ عليه شيئاً، فشدّ عليه نصر وأصحابه، فقتل عمر بن عبد الرحمن، وانهزم مَن كان معه ، وأقبل زيد بن علىّ من[1] جبّانة سالم حتى انتهى إلى جبّانة الصائديّين ، وبها خمسمائة من أهل الشأم ، فحمل عليهم زيد بن علىّ فيمن معه فهزمهم . وكان تحت زيد بن علىّ يومئذ بِرْذَوْن أدْهَم بهيم ؛ اشتراه رجل من بنى نَهْد بن كهمس بن مروان النجّارىّ بخمسة وعشرين ديناراً، فلما قتِل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصّلت .

قال : وانتهى زيد بن علىّ إلى باب دار رجل من الأزْد ، يقال له أنس ابن عمرو — وكان فيمن بايعه — فنودى وهو فى الدار فجعل يجيب ، فناداه زيد يا أنَس : اخرج إلىّ رحمك الله ، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم ! قد فعلتموها ، الله حسيبكم! ٢ / ١٧٠٤

قال : ثم إنّ زيداً مضى حتى انتهى إلى الكُناسة ، فحمل على جماعة بها من أهل الشأم فهزمهم ؛ ثم خرج حتى ظهر إلى الجبّانة ويوسف بن عمر على التلّ ينظر إليه هو وأصحابه، وبين يديه حِزام بن مرة المزنىّ وزمزم بن سُلَيم الثعلبىّ ؛ وهما على المجفّفة، ومعه نحو من مائتى رجل ؛ والله لو أقبل على يوسف لقتله، والرّيان بن سلَمة يتبع أثر زيد بن علىّ بالكوفة فى أهل الشأم .

ثم إن زيداً أخذ ذات اليمين على مصلّى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علىّ حيث وجّه إلى الكُناسة قد انشعبتْ[2] نحو جبّانة مِخْنف بن سُلَيم . ثم قال بعضهم لبعض : ألا ننطلق[3] نحو جبّانة كِنْدة ! قال : فما زاد الرّجل على أن تكلم بهذا الكلام. وطلع أهلُ الشأم ؛ فلما رأوهم دخلوا زُقاقاً فمضَوْا فيه ، وتخلّف رجل منهم، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة . ثم إنهم صرَعوه ، فجعلوا يضربونه بأسيافهم؛ فنادى رجل منهم مقنّع بالحديد : أن اكشفوا الْمِغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ؛ ففعلوا ، وقتِل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل ، وانصرف أهل الشأم ؛ وقد اقتطعوا

(١) ابن الأثير : « على » .
(٢) ب ، ح : « اتسعت » .
(٣) ف : « ألا تنطلقوا » .

رجلا ، ونجا سائرهم . فذهب ذلك الرّجل حتّى دخل دار عبد الله بن عـوْف ،
٢/١٧٠٥ فدخل أهل الشأم عليه فأسروه ، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله .

قال : وأقبل زيد بن علىّ ، وقد رأى خِذلان الناس إيّاه ، فقال : يا نصر بن خزيمة ، أتخاف(١) أن يكون قد جعلوها حسينيّة ! فقال له : جعلنى الله لك الفداء ! أما أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفى هذا حتّى أموت ؛ فكان قتاله يومئذ بالكوفة . ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن علىّ : جعلنى الله لك الفداء ! إنّ الناس فى المسجد الأعظم محصورون ، فامض بنا نحوهم ، فخرج بهم زيد نحو المسجد ، فمرّ على دار خالد بن عرْفطة . وبلغ عبيدَ الله ابن العباس الكندىّ إقبالُه ، فخرج فى أهل الشأم ، وأقبل زيد فالتقوْا على باب عمر بن سعد بن أبى وقّاص ، فكعّ(٢) صاحب لواء عبيد الله — وكان لواؤه مع سلمان مولاه — فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كعّ عنه ، قال : احمل يابن الخبيثة ! فحمل عليهم ، فلم ينصرف حتّى خُضِّب لواؤه بالدّم .

ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط ، فاضطربا بسيفهما ، فقال للأحول : خذها منّى وأنا الغلام الحنّاط ! وقال الآخر : قطع الله يدى
٢/١٧٠٦ إن كِلْتَ بقفيزٍ أبداً . ثم ضربه فلم يصنع شيئًا . وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابُه ، حتّى انتهوْا إلى دار عمرو بن حُرَيث . وجاء زيد وأصحابه حتّى انتهوْا إلى بابِ الفيل ؛ فجعل أصحابُ زيد يُدخلون راياتِهم من فوق الأبواب ، ويقولون : يا أهلَ المسجد ، اخرجوا . وجعل نصر بن خُزَيمة يناديهم ، ويقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا من الذلّ إلى العزّ ، اخرجوا إلى الدين والدنيا ؛ فإنكم لستم فى دين ولا دنيا . فأشرف عليهم أهلُ الشأم ، فجعلوا يرمُونهم بالحجارة من فوق المسجد — وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة فى نواحيها ، وقيل فى جبّانة سالم — وانصرف الرّيان بن سلَمة إلى الحيرة عند المساء ، وانصرف زيد بن علىّ فيمن معه ، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فأتاه الرّيان بن سلمة ، فقاتله عند دار الرزق قتالاً شديداً ، فجرح من أهل

(١) ابن الأثير : « أنا أخاف » .
(٢) كع : جبن وضعف .

الشأم وقتِل منهم ناس كثير ، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرّزق ؛ حتى انتهوْا إلى المسجد ؛ فرجع أهلُ الشأم مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنًّا ؛ فلما كان من الغد غداة يوم الخميس، دعا يوسف بن عمر الرّيان بن سلَمة ، فلم يوجَد حاضراً تلك الساعة .

٢/١٧٠٧ وقال بعضُهم : بل أتاه وليس عليه سلاحه فأفّفَ به ، وقال له : أفٍّ لك من صاحب خيل ! اجلس . فدعا العباس بن سعيد المُزنىّ صاحب شرطته ، فبعثه فى أهل الشأم ، فسار حتى انتهى إلى زيد بن علىّ فى دار الرزق، وثَمّ خشب للتجار[1] كثير ، فالطريق متضايق . وخرج زيد فى أصحابه ، وعلى مجنِّبتيه نصر بن خزيمة العبسىّ ومعاوية بن إسحاق الأنصارىّ ، فلما رآهم العباس — ولم يكن معه رجال — نادى : يا أهلَ الشأم، الأرضَ والأرضَ ! فنزل ناسٌ كثير ممن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فى المعركة . وقد كان رجل من أهل الشأم من بنى عَبْس يقال له نائل بن فَرْوة قال ليوسف بن عمر : والله لئن أنا ملأتُ عينى من نصر بن خزيمة لأقتلنّه أو ليقتلنّى ، فقال له يوسف : خذ هذا السيف ؛ فدفع إليه سيفًا لا يمرّ بشىء إلا قطعه . فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا ، بصُر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة ، فأقبل نحوه ، فضرب نصراً فقطع فَخِذه ، وضربه نصر ضربةً فقتله ؛ فلم يلبث نصر أن مات ، واقتتلوا قتالاً شديداً .

ثم إن زيد بن علىّ هزمهم وقتل من أهل الشأم نحواً من سبعين رجلا ، فانصرفوا وهم بشرّ حال . وقد كان العباس بن سعيد نادى فى أصحابه أن
٢/١٧٠٨ اركبوا ؛ فإن الخيل لا تطيق الرجال فى المضيق فركبوا ، فلما كان العشىّ عبّأهم يوسف بن عمر ثم سرّحهم ، فأقبلوا حتى التقوْا هم وأصحاب زيد ، فحمل عليهم زيد فى أصحابه فكشفهم ، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السَّبَخة ، ثم شدّ عليهم بالسبَخة حتى أخرجهم إلى بنى سُليم ، ثم تبعهم فى خيله ورجاله ؛ حتى أخذوا على المسنّاة[2] .

ثم إنّ زيداً أظهر[3] لهم فيما بين بارق ورُؤاس ، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً .

---

(١) ط : « للنجار » ، وما أثبته من ح . (٢) المسناة : ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء .
(٣) ط : « أظهر » ، وما أثبته من ا .

وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبى مالك بن مسروح ، من بنى سعد بن زيد ، حليف العباس بن عبد المطلب ، وكان مسروح السعدىّ تزوّج صفية بنت العباس بن عبد المطلب ، فجعلت خيلُهم لا تثبُت لخيله ورجله ، فبعث العباس إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك ، فقال له : ابعث إلىّ الناشبة ، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبىّ فى القيقانيّة والبُخاريّة ؛ وهم ناشبة ، فجعلوا يرمون زيداً وأصحابه ، وكان زيد حريصاً على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السبَخة ، فأبوْا عليه ، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصارىّ بين يدى زيد بن علىّ قتالا شديداً ، فقتل بين يديه ، وثبت زيد بن علىّ ومَنْ معه حتى إذا جنح الليل رُمِىَ بسهم فأصاب جانب[1] جبهته اليسرى ، فتشبّث[2] فى الدّماغ ، فرجع ورجع أصحابه ؛ ولا يظنُّ أهلُ الشأم أنهم ١٧٠٩/٢
رجعوا إلا للمساء والليل .

قال : فحدّثنى سلمة بن ثابت الليثىّ — وكان مع زيد بن علىّ ، وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ ، هو وغلام لمعاوية بن إسحاق — قال : أقبلتُ أنا وصاحبى نقصُّ أثر زيد بن علىّ ، فنجدُه قد أنزل ؛ وأدخل بيت حرّان ابن كريمة (مولى لبعض العرب فى سكّة البريد فى دور أرْحَب وشاكر). قال سلمة بن ثابت : فدخلت عليه ، فقلت له : جعلنى الله فداك أبا الحسين ! وانطلق أصحابُه فجاءوا بطبيب يقال له شُقَير (مولًى لبنى رُؤاس) فانتزع النّصل من جبهته ، وأنا أنظر إليه ، فوالله ما عدا أن انتزعه جعل يصيح ، ثم لم يلبث أن قضى ؛ فقال القوم : أين ندفنُه ، وأين نواريه ؟ فقال بعض أصحابه : نلبسه درعَه ونطرحُه فى الماء ، وقال بعضهم : بل نحتزّ رأسَه ونضعه بين القتلى ، فقال ابنه يحيى : لا والله لا تأكل لحم أبى الكلاب . وقال بعضهم : لا بل نحمله إلى العباسيّة فندفنه .

قال سلمة : فأشرتُ عليهم أن ننطلق به إلى الحُفْرة التى يؤخذ منها الطين فندفنه فيها ، فقبلوا رأيى وانطلقنا ، وحفرنا له بين حُفْرتَين ، وفيه حينئذ ماء كثير ؛ حتى إذا نحن أمكنّا له دفنّاه ، وأجرينا عليه الماء[3] ، وكان معنا ١٧١٠/٢

---

(١) ح : « حاجب » . (٢) ابن الأثير : « فثبت » .
(٣) ح ، ف : « الماء عليه » .

عبد له سندىٌّ . قال : ثم انصرفنا حتى نأتى جبّانة السبيع ، ومعنا ابنه ، فلم نزل بها ، وتصدّع الناس عنا ، وبقيت فى رهط معه لا يكونون[١] عشرة ، فقلت له : أين تريد ؟ هذا الصبح قد غشيك — ومعه أبو الصبَّار العبدىّ — قال : فقال : النّهرين ، فظننتُ أنه يريد أن يتشطّط الفرات ويقاتلهم — فقلتُ له : لا تبرح مكانَك ، تقاتلهم حتى تُقتل ، أو يقضى الله ما هو قاض . فقال لى : أنا أريد نهرَىْ كربلاء . فقلت له : فالنّجاء قبل الصبح ، فخرج من الكوفة ، وأنا معه وأبو الصبّار ورهْط معنا ، فلمّا خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذّنين ، فصلينا الغَداة بالنُّخيلة ، ثم توجّهنا سراعاً قِبَل نِينَوَى ، فقال لى : إنى أريد سابقاً مولى بشر بن عبد الملك بن بِشْر ، فأسرع السير ، وكنتُ إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعمَ الأرغفة فأطعِمها إياه ، فيأكل وآكل معه ؛ فانتهينا إلى نِينَوَى وقد أظلمنا ، فأتينا منزل سابق ، فدعوتُ على الباب ، فخرج إلينا فقلت له : أما أنا فآتى الفيّوم ، فأكون به ؛ فإذا بدا لك أن ترسل إلىّ فأرسل . قال : ثم إنى مضيت وخلّفته عند سابق ؛ فذلك آخر عهدى به .

١٧١١/٢ قال : ثم إنّ يوسف بن عمر بعث أهل الشأم يطلبون الجرحَى فى دور أهل الكوفة ، فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ، ويطوفون البيت يلتمسون الجرحَى .

قال : ثم دلّ غلام زيد بن علىّ السندىُّ يوم الجمعة على زيد ، فبعث الحكم بن الصَّلت العباسَ بن سعيد المزنىّ وابن الحكم بن الصَّلت ، فانطلقا فاستخرجاه ، فكرِه العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصّلت . فتركه وسرّح بشيراً إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علىّ مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عَقِيل ، فقال أبو الجُوَيرِيَة مولى جُهَيْنة :

قُلْ للذينَ انتهكوا المحارمْ ورفعوا الشَّمْعَ بصَحْرا سالِمْ
كيف وَجَدْتم وقعةَ الأكارمْ يا يوسفَ بنَ الحكمِ بن القاسم!

قال : ولما أتى يوسفَ بن عمر البشيرُ ، أمر بزيد فصلب بالكُناسة ،

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « لا تكون » .

هو ونصر بن خُزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ وزياد النهديّ ؛ وكان يوسف قد نادى : مَن جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم ، فجاء محمد بن عبّاد برأس نصر بن خُزيمة، فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم ، وجاء الأحول مولى الأشعريّين برأس معاوية بن إسحاق؛ فقال : أنت قتلتَه ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! ليس أنا قتلته ؛ ولكنى رأيتُه فعرفته ، فقال : أعطوه سبعمائة درهم ، ولم يمنعه أن يتمّ له ألفًا ، إلاّ أنه زَعم أنه لم يقتله .

١٧١٢/٢ وقد قيل : إنّ يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص إلّا بإعلام هشام بن عبد الملك إياه ، وذلك أن رجلاً من بنى أمية كتب – فيما ذكر – إلى هشام ، يذكر له أمر زيدٍ ، فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهّله، ويقول : إنك لَغافل، وزيد غارز ذَنبه بالكوفة يبايَع له فألحِحْ[1] فى طلبه ، فأعطِه الأمان فإن لم يقبل فقاتله. فكتب يوسف إلى الحكَم بن الصّلت من آل أبى عَقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه ، فطلبه فخفىَ عليه موضعهُ، فدسّ يوسف مملوكًا خُراسانيًّا ألكَن، وأعطاه خمسة آلاف درهم، وأمره أن يلطف لبعض الشّيعة فيخبره أنه قد قدم من خُراسان حبًّا لأهل البيت ؛ وأنّ معه مالاً يريد أن يقوّيَهم به ؛ فلم يزل المملوك يلقىَ الشيعة، ويخبرهم عن المال الذى معه حتى أدخلوه على زيد ، فخرج فدَلّ يوسف على موضعه، فوجّه يوسف إليه الخيل، فنادى أصحابه بشعارهم ، فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمائة أو أقلّ ، فجعل يقول : كان داود ابن علىّ أعلَم بكم ؛ قد حذّرنى خِذلانكم فلم أحذر !

وقيل : إنّ الذى دَلّ على موضع زيد الذى كان دُفن فيه – وكان دفن فى نهر يعقوب فيما قيل ، وكان أصحابهُ قد سكَروا[2] النهر ثم حفروا له فى بطنه ، فدفنوه فى ثيابه ثم أجْروا عليه الماء – عَبْدٌ[3] قصّار كان به ، ١٧١٣/٢ فاستجعل جُعلا على أن يدلّهم على موضعه، ثم دلّهم، فاستخرجوه ، فقطعوا رأسَه ، وصلبوا جسده ؛ ثم أمروا بحراسته لئلا يُنزل ، فمكث يُحرَس زمانًا .

---

(١) ط : « فألجج » . (٢) سكروا النهر : سدوا فاه .
(٣) كذا فى ب ، وفى ط « عند » ، تصحيف .

وقيل إنه كان فيمن يحرُسه زهير بن معاوية أبو خيثمة ، وبُعث برأسه إلى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل به إلى المدينة ، ومكث البدن مصلوبًا حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأنزل وأحرق . وقيل : إن حكيم ابن شريك كان هو الذى سعى بزيد إلى يوسف .

فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال فى أمر يحيى بن زيد : لما قُتل زيد عمَد رجلٌ من بنى أسد إلى يحيى بن زيد ، فقال له : قد قتل أبوك ، وأهلُ خراسان لكم شيعةٌ ، فالرأى أن تخرج إليها . قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : تتوارى حتى يكفّ عنك الطلب ثم تَخرج ، فواراه عنده ليلة ، ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان ، فقال له : إن قَرابة زيد بك قريبة ، وحقّه عليك واجب ، قال له : أجَل ؛ ولقد كان العفو عنه أقربَ إلى التقوى ، قال : فقد قتل وهذا ابنه غلامًا حدَثًا[١] لا ذنب له ؛ وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله ، فتُجيره وتواريه عندك ، قال : نعم وكرامة . فأتاه به فواراه عنده . فبلغ الخبر يوسف ، فأرسل إلى ١٧١٤/٢ عبد الملك : قد بلغنى مكان هذا الغلام عندك ، وأعطى الله عهداً ؛ لئن لم تأتنى به لأكتبنّ فيك إلى أمير المؤمنين ، فقال له عبد الملك : أتاك الباطل والزور ؛ أنا أوارى مَنْ ينازعنى سلطانى ويدّعى فيه أكثر من حقى ! ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا علىّ ولا الاستماع من صاحبه ، فقال : صدق والله ابن بِشْر ؛ ما كان ليوارى مثل هذا ، ولا يستر[٢] عليه ؛ فكفّ عن طلبه ؛ فلما سكن الطلبُ خرج يحيى فى نفر من الزيدّية إلى خُراسان .

وخطب يوسف بعد قتل[٣] زيد بالكوفة فقال :

يا أهل الكوفة ، إن يحيَى بن زيد يتنقّل فى حِجال نسائكم كما كان يفعل أبوه ؛ والله لو أبدى[٤] لى صفحته لعرقتُ خصييَه كما عرقت خصيَى أبيه .

وذكر عن رجل من الأنصار قال : لما جىء برأس زيد فصُلب بالمدينة فى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحياله ، فقال :

---

(١) ابن الأثير : « غلام حدث » . (٢) ب : « يستره » .
(٣) ف : « بعد ما قتل زيد » . (٤) ط : « بدى » ، وما أثبته من ف .

أَلا يا ناقِضَ الميثا قِ أَبشرْ بالذى ساكا
نقَضْتَ العهْدَ والميثا قَ قِدْماً كان قدْماكا
لقد أَخلَفَ إبليس الّ ذى قد كان مَنّاكا

٢/١٧١٥ قال : فقيل له : ويلك ! أتقول هذا لمثل زيد ! فقال : إن الأمير غضبان فأردتُ أن أرضيه ، فردّ عليه بعض شعرائهم :

أَلا يا شاعرَ السوْءِ لقد أَصْبَحْت أَفّاكا
أَتَشْتُمُ ابنِ رسول اللا ه يُرْضِى مَنْ تَوَلاكا[1]
أَلَا صَبّحَكَ اللهُ بخِزيٍ ثم مَسّاكا
ويوم الحشر لا شكَّ بأَن النَّارَ مثواكا

وقيل : كان خِراش بن حَوْشب بن يزيد الشيبانىّ على شُرَط يوسف ابن عمر ؛ فهو الذى نَبَشَ زيداً ، وصلّبه ، فقال السيّد :

بتّ ليلى مُسهدَا ساهِرَ الطّرفِ مُقصَدا
ولقد قلتُ قولةً وأَطَلتُ التّبلّدا
لَعنَ اللهُ حَوْشَباً وخِراشاً ومزْيَدا
ويَزيدًا فإنه كان أَعْتَى وأَعْندا
أَلفَ أَلف وأَلفَ أَلـ فٍ من اللعْن سَرمدا
إنهم حاربوا الإِلٰـ ه وآذوْا محمدا
شركوا فى دَمِ المطهَّرِ زيد تَعَنُّدا
ثم عالوه فوقَ جِذْ عٍ صريعاً مُجَرَّدا
يا خِراشَ بنَ حوشَبٍ أَنت أَشقَى الورَى غدَا

(١) ورد هذا البيت محرفاً مضطرباً فى ط ، وأثبت صوابه من ا .

قال أبو مخنف : ولما قتَل يوسف زيدَ بن عليّ أقبل حتى دخل الكوفة ٢/١٧١٦
فصعِد المنبر ، فقال :

يا أهلَ المدَرة الخبيثة ، إنى والله ما تقرَن بى الصَّعْبَة ، ولا يقعقَع لى بالشّنان ، ولا أخوَّف بالذنب(١) . هيهات ! حُبيت بالساعد الأشدّ ، أبشروا يا أهلَ الكوفة بالصَّغار والهوان ، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ؛ ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم ، وأحرمكم أموالكم . أمَا والله ما علوت منبرى إلا أسمعتُكم ما تكرهون عليه ، فإنكم أهلُ بغى وخلاف ، ما منكم إلا مَن حارب الله ورسوله ؛ إلا حكيم بن شريك المحاربىّ ؛ ولقد سألت أميرَ المؤمنين أن يأذن لى فيكم ؛ ولو أذن لقتلتُ مقاتلتكم ، وسبيت ذراريّكم .

* * *

وفى هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القُشيرىّ الذى كان هشام بن عبد الملك بعثه فى خيول أهل الشأم إلى إفريقيّة ؛ حيث وقعت الفتنة بالبربر .

وفيها قتل عبد الله البطَّال فى(٢) جماعة من المسلمين بأرض الروم .

وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علىّ .

وفيها وجّه يوسف بن عمر بن شُبرمة على سِجِسْتان ، فاستقضى ابنَ أبى ليلى . ٢/١٧١٧

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام المخزومىّ ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحق بن عيسى ، عن أبى معشر ؛ وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة العمال فى السنة التى قبلها ، وقد ذكرناهم قبل ؛ إلا أنّ قاضى الكوفة كان — فيما ذكر — فى هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى .

---

(١) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « الذئب » .
(٢) ف : « وجماعة » .